منهج ابن عصفور في تيسيرعلم الصرف من خلال كتابه"الممتع"

معروف مفتاح
قسم علوم اللسان، جامعة الجزائر2

تاريخ الإرسال: 2018-10-21- **تاريخ القبول:** 2019-01-04

ملخص

لا شك أن علم الصرف قد نال نصيبه الوافر من البحث و الدراسة على يد علماء الأندلس والمغرب، وأفاضوا فيه وتناولوا كل دقيقة تخصه، وصنفوا لذلك المصنفات، ومن العلماء الأجلاء الذين كانت لهم جهود كبيرة في ميدان علم الصرف ابن عصفور الإشبيلي، ويظهر ذلك جليا من خلال كتابه الممتع في التصريف حيث استعرض فيه مسائله الصرفية مستدلا لها بالتعليل والحجج والأدلة، وكان من كتابه ذات الأهمية البالغة الذي أعجب به لاحقيه من العلماء، ومنهم أبو حيان فعلق عليه ثم لخصه في كتاب سماه (المبدع)، وجاءت هذه الدراسة لتقف على جهود ابن عصفور في علم الصرف، من خلال بيان منهاجه في هذا النوع من العلم، وعرض بعض المسائل التي انفرد فيها عن غيره من العلماء.

الكلمات الدالة: علم الصرف؛ جهود ابن عصفور في علم الصرف؛ منهج ابن عصفور.

Abstract

There is no doubt that morphology has received a lot of research and study by the scholars of Andalusia and Morocco who spent a lot of time studying every little detail about it and classified it into volumes. One of the scholars who had great efforts in the field of morphology is Ibn 'Asfoor Al Ishbili, which is clearly shown in his book Al-Mumti Fi Altasrif, where he reviewed his questions of morphology, citing explanations, arguments and evidence. His book was of great importance, which impressed other scientists, including Abu Hayyan who reviewed and summarized it in a book called (Almubdie). This study was made to show Ibn 'Asfoor efforts in morphology through his method in this type of science, he also displayed a number of issues that distinguished him from other scholars.

Keywords: morphology; Ibn 'Asfoorefforts in morphology; Ibn 'Asfoor curriculum.

Résumé

Il ne fait aucun doute que la morphologie a fait l'objet de nombreuses recherches et études de la part de spécialistes de l'Andalousie et du Maroc, qui ont passé beaucoup de temps à étudier chaque détail et à le classer en volumes. Ibn 'Assfour Al Ishbili est l'un des érudits qui s'est beaucoup investi dans le domaine de la morphologie. C'est ce que montre clairement son livre "Al-Mumti Fi Altasrif", où il a passé en revue ses questions sur la morphologie, citant des explications, des arguments et des preuves. Son livre était d'une grande importance, ce qui a impressionné d'autres scientifiques, dont Abu Hayyan, qui l'a résumé et résumé dans un livre intitulé (Almubdie). Cette étude a été réalisée pour montrer les efforts de morphologie d'Ibn 'Assfour à travers sa méthode dans ce type de science, il a également montré un certain nombre de problèmes qui le distinguaient des autres érudits.

Mots-clés: morphologie, efforts de morphologie d'Ibn 'Assfour, curriculum d'Ibn 'Assfour.

مقدمة

عندما فتح المسلمون الأندلس شمَّر علماؤها عن سواعدهم يريدون أخذ علوم اللغة العربية عن علماء المشرق، ولاحظوا صعوبة بعض العلوم كالنحو والصرف، فعمل عدد منهم على تخليص العلوم العربية (خاصة النحو) مما أقحم عليها من فلسفات غريبة عنها، وكانوا يقصدون من وراء ذلك أن يقف طلابهم على هذا العلوم ميسرة، وذلك كي تتمكن الشعوب المستعربة والجماعات العربية التي ابتعدت عن قواعد علوم العربية من فهمها بيسر وسهولة، ويمكن لنا أن نجمل بعض الأسباب أو العوامل التي دفعت علماء الأندلس إلى تيسير علوم اللغة في النقاط الآتية:

أولا: اختلاف الأجناس التي كانت تسكن الأندلس في الدولة الإسلامية، وصراع اللغات فيما بينها :فهناك العرب الفاتحون الذين جاؤوا حاملين لغتهم ذات الصبغة اليمنية (مطلق، 1967) وقد استقروا في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، وهناك أيضا البربر، لقد كان العرب يسعون لنشر اللغة العربية في الأندلس، لأنها لغة القرآن الكريم، لذلك

وجد علماء الأندلس من الواجب عليهم أن يقدموا اللغة العربية بشكل مبسط ميسر بعيد عن التعقيد والشوائب حتى تكون تلك اللغة محفزة لغير العرب من أجل تعلمها وحفظ قواعدها.

ثانياً: البعد الجغرافي بين الأندلس والمشرق العربي مولد النحو :أوجد البعد الجغرافي عن مصدر اللغة والنحو عند الأندلسيين ضعفاً في فهم قواعد العربية التي وضعها العلماء وساهموا في تعقيدها والقياس فيها، لذلك لم يكن أمام نحاة الأندلس إلا اللجوء إلى تبسيط تلك المصنفات النحوية المشرقية، إما بشرحها وتوضيح غريبها وبيان مشكلها تارة، أو باختصارها والتعليق عليها تارة أخرى، كل ذلك حتى تنسجم تلك القواعد مع عقلية أناس من قوميات متعددة ومختلفة. وحتى يستطيع طلاب الأندلس من العرب المسلمين فهم تلك القواعد.

ثالثاً: دعوة عدد من العلماء في بلاد الأندلس إلى تبسيط النحو العربي وتيسيره على المتعلمين، وذلك بعد أن أفسد النحاة النحو بتعليلاتهم وشروحاتهم، وكان من أشهر هؤلاء العلماء، عالمان من فلاسفة الأندلس، هما العالم الفقيه ابن حزم الأندلسي، والفيلسوف ابن رشد. ومع الاهتمام بعلم الشريعة، فهو قد حضَّ الطلبة على تعلمه في شكله المبسط، و قد ذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك في دعواه إلى تيسير النحو، حين حدد الكتب التي يجب على الطلبة دراستها وذكرها بأسمائها فقال: "إن أقل ما يُجزئ منه-أي علم النحو-كتاب الواضح للزبيدي، أو ما كان نحوه كالموجز لابن السراج"(ابن حزم، 1987، ص64)، وابن رشد له رأي في النحو العربي، وقد ظهر هذا الرأي في كتابه "الضروري في علم النحو" الذي ألفه وجعل غرضه أن يذكر من علم النحو ما هو كالضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم، ويتحرى في ذلك ما هو أقرب إلى الأمر الصناعي، وأسهل تعليما، وأشد تحصيلا للمعاني. (ابن رشد، 2002)

ومن علماء الأندلس الذين لهم مكانة عالية في ميدان اللغة والأدب ابن عصفور الإشبيلي، حيث عُرف بغزارة علمه وسعة اطلاعه، فأكسبه هذا بأن يكون علما في العربية ريانا في الأدب (قباوة، 1971)، وابن عصفور كغيره من علماء الأندلس عُرف بتيسير العلوم وتذليلها، ومن العلوم التي ساهم فيها بنصيب وافر علم التصريف، حيث كتب في هذا العلم مصنفه "الممتع" الذي عدّ خلاصة فكره في التصريف، ومن خلال هذا

الكتاب الفذّ يمكننا أن نتلمس جهود ابن عصفور في خدمة علم الصرف والمنهج الذي اعتمده في تيسير علم الصرف وتذليله للطلاب.

1. جهود ابن عصفور في علم الصرف

لابن عصفور مكانة عالية في ميدان اللغة والأدب، وما هذا إلا لغزارة علمه وسعة اطلاعه، فأكسبه هذا بأن يكون علما في العربية فارسا في الأدب (قباوة، 1971)، ومن العلوم التي ساهم فيها بنصيب وافر علم التصريف، حيث كتب في هذا العلم مصنفه "الممتع" الذي عدّ خلاصة فكره في التصريف، ومن خلال هذا الكتاب الفذ يمكننا أن نتلمس جهود ابن عصفور في خدمة علم الصرف والمنهج الذي اعتمده في تيسير علم الصرف وتذليله للطلاب.

معظم العلماء المتأخرين يرجعون إلى كتب ابن عصفور في علم الصرف، وما هذا إلا لعلو كعبه في ميدان علم الصرف، ومن أهم مصنفاته في علم الصرف كتابه "الممتع في التصريف"، ومن استقرأ هذا الكتاب يجد أن ابن عصفور وهب حياته لعلم الصرف وعكف على المدونات الصرفية القديمة يدرسها ويتمعن في مادتها، حيث يذكر عنه أنه لازم كتاب سيبويه مدة عشر سنوات يدرسه وينهل من فوائده، وإلى جانب كتاب سيبويه عكف على كتب أخرى مثل كتب المبرد والسيرافي وابن كيسان والجرمي والزجاجي والأخفش وابن الحاجب وغيرهم من العلماء القدامى، والجدير بالذكر أن ابن عصفور تارة يؤيد من سبقه من العلماء ويعارضهم تارة أخرى ويوازن بين أقوالهم ويجتهد ويرجح.

1-1. التعريف بكتابه "الممتع"

سماه بـ: "الممتع في التصريف" جاء في نسخة (فيض الله): "تصريف الأستاذ أبي الحسن بن عصفور أكرمه الله وهو الذي سماه بالممتع في التصريف"(ابن عصفور، 1987، ص8)، وابن عصفور ألف كتابه بعد أن طالع المصنفات القديمة، فحاول أن يتجاوز بعض العيوب التي وقع فيها من قبله كالغموض واختلال ترتيب مسائلها، فاخرج هذا الكتاب حتى يجد الطالب سهولة ومتعة في علم الصرف، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال توظيفه للعبارات السهلة والتراكيب الواضحة وكذلك في ترتيب أبوابه، فكان كتابا ممتعا حقا كما سماه. وفي هذا يقول ابن عصفور: " سميته بـ: بالممتع ليكون اسمه وفق معناه،

ومترجما عن فحواه" (ابن عصفور1987، ص22) وقال كذلك :" وضعت في ذلك كتابا رفعت فيه من علم التصريف شرائعه، وذللته للفهم بحسن الترتيب، وكثرة التهذيب لألفاظه والتقريب، حتى صار معناه إلى القلب أسرع من لفظه إلى السمع".(ابن عصفور، 1987، ص22)

وقد ألف ابن عصفور كتابه هذا في زمن كانت المكتبات العربية تزخر بأمهات الكتب اللغوية والصرفية، مما جعله يرجع إلى مؤلفات العلماء القدامى ويأخذ من علومها وفوائدها، كالتصريف للمبرد، وتصريف الملوكي لابن جني، والتكملة في التصريف للفارسي وبعض الكتب اللغوية التي تضم بعض الموضوعات الصرفية كـ"إصلاح المنطق" لابن السكيت، و"الكامل" للمبرد و"الأمالي" للقالي.

2-1. منهاجه

اعتمد ابن عصفور منهجا يسمح له بعرض مسائل الصرف بكل دقة ووضوح، حيث خالف مذهب المتقدمين من النحاة الذي غلب عليه نوع من الاضطراب والتداخل، ولتجاوز ذلك عمل على ترتيب أبواب كتابه وتهذيب ألفاظه لتقريبه إلى الأذهان، وتيسير فهم مسائله.

قام ابن عصفور ببيان الخطوط العريضة لمصنفه في الصفحات الأول، وجعل علم الصرف ينقسم إلى قسمين أحدهما يتعلق بأبنية المجرد والمزيد وحروف الزيادة، والثاني خاص بالإبدال والقلب والنقل، والحذف والإدغام. ثم بعدما بيَّن قسمي التصريف ختم كتابه بمسائل التمرين على ما قدمه.

يقول في هذا السياق: "والتصريف ينقسم إلى قسمين: أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني نحو ضرب وضرّب، وتضرّب وتضارب، واضطرب. فالكلمة التي هي مركبة من ضاد وراء وباء نحو ضرب قد بنيت منها هذه الأبنية المختلفة لمعان مختلفة. ومن هذا النحو اختلاف صيغة الاسم للمعاني التي تعتوره، من التصغير والتكسير نحو زُيَيْد وزيود. وهذا النحو من التصريف جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف، فلذلك لم نضمنه هذا الكتاب. إلا أنّ أكثره مبني على معرفة الزائد من الأصلي، فينبغي أن تبين حروف الزيادة، والأشياء التي يتوصل بها إلى معرفة زيادتها من أصالتها. والآخر من قسمي التصريف تغيير الكلمة عن أصلها، من غير أن يكون ذلك التغيير دالا على معنى طارئ على الكلمة، نحو تغييرهم: قول إلى قال. ألا ترى

أنهم لم يفعلوا ذلك ليجعلوه دليلا على معنى خلاف المعنى الذي كان يعطيه: قول الذي هو الأصل، لو استعمل. هذا التغيير منحصر في: النقص كعدة ونحوه، والقلب كقال وباع ونحوهما، والإبدال كاتّعد واتّزن ونحوهما، والنقل كنقل عين شاك ولاث إلى محل اللام، وكنقل حركة العين إلى الفاء في نحو: قلت وبعت"(ابن عصفور، 1987، ص32).

وقدم القسم الثاني من قسمي التصريف ويعلل ذلك بقوله:" وإنما بدأنا بهذا القسم لأنه يبنى عليه معرفة التصغير والتكسير -اللذين جرت عادة النحويين بذكرها قبل الخوض في علم التصريف -ومعرفة كثير من الأسماء التي لا تنصرف أيضا نحو الأسماء التي امتنع صرفها لكونها على وزن الفعل الغالب أو المختص، أو لزيادة الألف والنون في آخرها إذ لا يوصل إلى معرفة الزيادة والوزن إلا من علم التصريف"(ابن عصفور، 1987، ص39).

وآية وضوح منهجه هي ذلك التناسق والترابط الذي نلمسه بين أجزاء كتابه، حيث فرع ابن عصفور كل قسم وفق موضوعاته وربط هذه الفروع ربطا محكما، فنجده يقدم للقسم الأول بذكر الأدلة التي يتوصل بها إلى معرفة زيادة الحروف من أصالتها مثل الاشتقاق والتصريف والكثرة... فإذا فرغ من ذكر هذه الأدلة فإنه يقول: "فهذه جملة الأدلة الموصلة إلى معرفة الزائد من الأصلي، ولما كان النظير والخروج عنه لا يعلمان إلا بعد معرفة أبنية الأسماء والأفعال وضعت من أجل ذلك بابين: حصرت في أحدهما أبنية الأسماء، وفي الآخر أبنية الأفعال". (ابن عصفور، 1987، ص59)

وبعد أن يذكر أبنية الأسماء والأفعال وحروف الزيادة، يختم ذلك بقوله:" وإذ قد فرغنا من تبيين الحروف الزوائد والأدلة الموصلة إلى معرفة الزائدة من الأصلي فينبغي أن أضع عقب ذلك بابا أبين فيه كيفية أوزان الأسماء والأفعال، والخلاف الذي بين النحويين في ذلك"(ابن عصفور 1987، ص3). ويختم القسم الأول بباب التمثيل ليجعل في الأخير تمارين تطبيقية على ما قدمه من بحوث نظرية.

ورغم أن ابن عصفور تلقى تعليمه بالأندلس على يد علماء أجلاء مثل أبي الحسن الدباج وأبي علي الشلوبين فإنه لم يتأثر تأثرا ملحوظا بعلماء الأندلس، فلا نرى في كتبه تأييدا ولا معارضة لآرائهم عدا الزبيدي، فابن عصفور اتصل بالمدارس الصرفية القديمة، وأخذ من آراء علمائها دون أن يتعصب لمذهب معين، فكانت أبحاثه تجمع آراء

البصريين والكوفيين والبغداديين، وإن كانت آراءه في الغالب تميل إلى المدرسة البصرية. لقد بنا ابن عصفور دراساته في علم الصرف على أربعة أسس نذكرها على النحو الآتي:

- 1.2.1المنطق الجدلي

قد اعتمد ابن عصفور على الجدل والاحتجاج اللذين من خلالهما يتم ترجيح الأقوال والمذاهب، ولا عجب في هذا بيد أن الأخذ بالمنطق كان أمرا شائعا لدى علماء النحو.

ويظهر أسلوبه المنطقي بوضوح من خلال ترجيح بعض المسائل الصرفية وتفضيلها عن الأخرى، حيث يبسط الأصول النظرية أولا ثم يذكر الخلاف ليرجح في الأخير مذهبا معينا مستندا إلى أسس سطرها في بادئ الأمر. وبتحري الحجج المنطقية لدفع بعض الأقوال، كأن يستدل بمنطق العربية في ألفاظها فغذا ظهر أن العرب قد اجتنبوا اللفظ ببناء معين وجب أن يكون ذلك دليلا يركن إليه في توجيه المسائل. (قباوة، 1971)

ومن أمثلة اعتماده المنطق الجدلي نذكر "زعم ابن جني أن النون في نبراس زائدة ووزنه نفعال وجعله مشتقا من البرس، وهو القطن، وذلك اشتقاق ضعيف جدا، بل لقائل أن يقول الغالب في الفتيل ألا يكون من القطن"(بن عصفور 1987، ص21).

- 2.2.1 السماع

اعتبره ابن عصفور أصلا من الأصول التي اعتمدها في بسط مسائله الصرفية، وكان عنده كلام العرب الخلص الذين يوثق بفصاحتهم هو المعول عليه والذي يقاس عليه. فرد مارواه النحاة من كلام لا يستند إلى رواية موثوقة كقوله في الأبنية: "وزعم الزبيدي أن أبا بكر الأنباري حكى إصبعا بكسر الهمزة وضم الباء، عل وزن إفعل لكن أكثر أهل اللغة على أنها ليست من كلام الفصحاء. قال الفراء: "لا يلتفت إلى ما رواه البصريون من قولهم إصبع فإنا بحثنا عنها فلم نجدها."(ابن عصفور، 1987، ص8)

وقد استعان ابن عصفور ببعض النصوص المجهولة القائل واستدل بها، وحجته في ذلك أنها ربما تكون مروية عن ثقة. ولكن نجده أحيانا يطعن في بعض الشواهد المجهولة القائل ويتجنب الاحتجاج بها ومن أمثلة ذلك أنه أنكر على ابن جني أن افعنلى يتعدى واستدل (ابن جني) بقول الراجز:

قد جعل النعاس يغرنديني أدفعه عني ويسرنديني.(ابن جني، 1955).

فأنكر ابن عصفور الاحتجاج بهذا البيت وقال: غالب الظن أنه مصنوع قال أبو بكر الزبيدي: أحسب البيتين مصنوعين"(ابن عصفور، 1987، ص17).

- 3.2.1 القياس

استعان ابن عصفور بالقياس في عرض بعض المسائل الصرفية عندما يتعذر السماع في توجيهها، ومثال ذلك قوله في مسألة الواو الواقعة بعد ألف زائدة:" وهذا النوع لم يرد به السماع لكن القياس يقتضي ما ذهب إليه سيبويه أعني أنه إذا قوي الشبه بين شيئين حكم لكل واحد منهما بحكم الآخر"(ابن عصفور، 1987، ص32).

وابن عصفور يوافق البصرين والبغداديين في الشاذ حيث لم يتخذه أصلا يقاس عليه، بل الذي كان يعتمده في القياس هو الشائع المعروف لدى العرب.

- 4.2.1 الإجماع

حرص ابن عصفور كل الحرص على الالتزام بالمسائل التي أجمع عليها علماء المدرستين (الكوفة والبصرة)، كما اعتمد الإجماع ليحتج على بعض التوجيهات والاستدلالات، ودعم آرائه.

والجدير بالذكر أن أخذ ابن عصفور بالإجماع والاعتماد عليه في بسط مسائله الصرفية لم يمنعه من مخالفة أغلبية النحاة في بعض المسائل التي يراها صوابا، مثل تعريف الاشتقاق الأصغر، حيث عرفه جمهور النحاة بأنه إنشاء فرع من أصل يدل عليه كاشتقاق الأحمر من الحمرة، بينما هو يراه " تعريفا مانعا غير جامع، إذ ربما جعل لفظ مشتقا من آخر دون أن يكون أحدهما منشأ من الآخر"(ابن عصفور 1987، ص4).

2. خصائص مصنفه "الممتع"

إن المتصفح لكتاب ابن عصفور الممتع يلمس فيه ثلاث خصائص هي:

1.2 دقة الترتيب

عدّ ابن عصفور مسألة التفصيل والتبويب أمرا أساسيا في تبسيط العلوم وتقريب الفهم يقول في هذا الشأن: " فإني لما رأيت النحويين قد هابوا لغموضه علم التصريف فتركوا التأليف فيه والتصنيف إلا القليل منهم فإنهم قد وضعوا ما لا يبرد غليلا ولا يحصل لطالبه مأمولا، لاختلال ترتيبه وتداخل تبويبه وضعت في ذلك كتابا رفعت فيه من علم التصريف شرائعه وملّكته عاصيه وطائعه، وذللته للفهم بحسن الترتيب وكثرة

التهذيب لألفاظه والتقريب حتى صار معناه إلى القلب أسرع من لفظه إلى السمع"(ابن عصفور، 1987، ص4).

2.2 المزج والاختيار

من قرأ لابن عصفور في علم الصرف يجد أن الرجل يعرض آراء النحاة في دقة وأمانة ويرجح ما تبين له صوابها، ويدافع عن اختياراته بحجج واستدلالات محكمة، وهذا جاء من اتصاله بالمدارس اللغوية وكثرة قراءته في مصنفات سابقيه وسعة اطلاعه في كتب العلماء القدامى كسيبويه والخليل غيرهما، ولهذا نجد كتابه الممتع مزج من صرف البصريين والكوفيين والبغداديين.

3.2 السهولة والوضوح

ابن عصفور تصدى للتدريس في فترة مبكرة، وتنقل بين ربوع الأندلس معلم الناشئة مبادئ اللغة العربية، وميله نحو التدريس هو الذي دفعه إلى توخي السهولة والوضوح في عرض العلوم وتجنب الغموض والطرق المتشعبة في الشرح والتعليل.

3. ما تفرد به عن جمهور الصرفيين

1.3 منهاجه في علم التصريف

إنّ أول شيء نلمسه فيما تفرد به ابن عصفور عن غيره من العلماء في علم الصرف هو طبيعة منهجه، إذ عمد إلى الابتكار والتجديد في أسلوب التأليف. حيث خالف غيره من العلماء واجتهد في ترتيب الظواهر الصرفية وتنظيمها، فجاءت مادته سهلة ميسورة يسهل على الطالب قراءتها واستيعابها.

كما أنه تفرد عن جمهور الصرفيين في الدقة التي تبناها عندما وضع أقسام كتابه، إذ فرع كل قسم تبعا لموضوعاته، وربط هذه الفروع برباط منطقي محكم، محققا بذلك تناسق المسائل الصرفية مما يسهل على القارئ استيعابها دون عناء أو مشقة، في حين إذا رجعنا إلى مصنفات قديمة لا نقف على هذا النوع من التبويب والتنسيق.

هذا من حيث الشكل والهيكل أما إذا جئنا إلى الجانب الموضوعي فنجد ابن عصفور أعطاه حقه من الدقة والوضوح في أسلوب بسيط سهل قريب إلى الفهم والإدراك.

2.3 تعريفه لعلم التصريف

خالف ابن عصفور جمهور الصرفيين في تعريف علم التصريف، يقول في تعريفه: " هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب"(ابن عصفور، 1987، ص30) وبهذا ارتقى ابن عصفور بعلم التصريف إلى المدلول العملي ويظهر ذلك جليا حين جعل علم التصريف على قسمين " والتصريف ينقسم إلى قسمين: أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني نحو ضرب وضرّب، وتضرّب وتضارب، واضطرب. فالكلمة التي هي مركبة من ضاد وراء وباء نحو ضرب قد بنيت منها هذه الأبنية المختلفة لمعان مختلفة. ومن هذا النحو اختلاف صيغة الاسم للمعاني التي تعتوره، من التصغير والتكسير نحو زُيَيْد وزيود.

وهذا النحو من التصريف جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف، فلذلك لم نضمنه هذا الكتاب. إلا أنّ أكثره مبني على معرفة الزائد من الأصلي، فينبغي أن تبين حروف الزيادة، والأشياء التي يتوصل بها إلى معرفة زيادتها من أصالتها. والآخر من قسمي التصريف تغيير الكلمة عن أصلها، من غير أن يكون ذلك التغيير دالا على معنى طارئ على الكلمة، نحو تغييرهم: قول إلى قال. ألا ترى أنهم لم يفعلوا ذلك ليجعلوه دليلا على معنى خلاف المعنى الذي كان يعطيه: قول الذي هو الأصل، لو استعمل. هذا التغيير منحصر في: النقص كعدة ونحوه، والقلب كقال وباع ونحوهما، والإبدال كاتعد واتّزن ونحوهما، والنقل كنقل عين شاك ولاث إلى محل اللام، وكنقل حركة العين إلى الفاء في نحو: قلت وبعت"(ابن عصفور، 1987، ص32).

ولم يكتف ابن عصفور في تعريف علم التصريف بل بيّن كذلك سبب عزوف العلماء عن اقتحام هذا الميدان بقوله:" ولكن هذا العلم غامض يحتاج إلى ممارسة وتدريب لأن كثيرا من العلماء لا يسبرون غوره ويعافون من غموضه حتى جلة العلماء كان لهم في هذا العلم سقطات"(ابن عصفور، 1987، ص28).

ويبيّن ابن عصفور سبب تأخير العلماء لعلم الصرف وجعلهم إياه بعد علم النحو فيقول:" وقد كان ينبغي أن يقدم علم لتصريف على غيره من علوم العربية إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب إلا أنه أخر للطفه

ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة له، حتى لا يصل إليه الطالب، إلا وهو قد تدرب وارتاض للقياس"(ابن عصفور، 1987، ص31).

بالإضافة إلى هذا فإن له بعض الآراء الصرفية تفرد بها عن غيره ولا سيما ما يتعلق بأبنية الأسماء والأفعال، ومثال ذلك أنه يرى أنّ وزن أربعاء هو فعللاء كعرقباء ولا يجعل الهمزة زائدة، في حين يرى جمهور الصرفيين أنه على وزن أفعلاء.

وفي باب أبنية الأفعال نمثل برأيه في وزن " انفعل" حيث يرى أنه لا يكون متعديا أبدا وإنما يجيء في كلام العرب للمطاوعة وأن أصله من الثلاثي ثم تلحقه الزيادتان من أوله نحو قطعته فانقطع وسرحته فانسرح ولا يكاد يكون فعل منه إلا متعديا حتى تمكن المطاوعة والانفعال. ألا ترى أن قطعته وكسرته متعديان. قال أبو علي الفارسي وقد جاء فعل منه غير متعد قال الشاعر:

وكم منزل لولاي طحت كما ترى هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي

وإنما هو مطاوع "هوى" إذ سقط وهو غير متعد كما ترى. وجاء في هذه القصيدة "منغوي" قال أبو علي: إنما بني من "غوى" و"هوى" منفعلا لضرورة الشعر"(ابن جني، 1954، ص86). وابن عصفور انفرد برأيه وجوز أن يكون " منغو" و" منهو" مطاوعين لـ " أغويته و" أهويته"، فيكون مثل " أدخلته فاندخل" و" أطلقته فانطلق" ولا يكونان على هذا شاذين"(ابن عصفور، 1987، ص192).

خاتمة

تمكن ابن عصفور بفضل جهوده في علم التصريف أن يكون ضمن العلماء المجتهدين الذين لم يقتصروا على الجمع وحده، بل نظر في مصنفات العلماء وكانت له محاولات عديدة وآراء فريدة. ومن خلال هذا العرض البسيط يمكننا أن نجمل النتائج التي توصلنا إليها في النقاط الآتية:

- مصنف ابن عصفور " الممتع " يشهد على سعة علم صاحبه وعلو كعبه في علم التصريف.
- يعد كتاب "الممتع في التصريف " نتاج فكر ابن عصفور وعصارة آرائه في علم التصريف.

- أثر ابن عصفور في الدراسات الصرفية تأثيرا واضحا، وذلك من خلال الجهود التي بذلها والأسلوب الذي ابتدعه في هذا العلم.
- السهولة والوضوح من السمات الأساسية في مصنف ابن عصفور، وبهذا يكون هذا الرجل قد خطا خطوة إلى ارتقاء تعليم علم التصريف.
- الروح الإبداعية التي يتمتع بها ابن عصفور، بدليل الإضافات التي قدّمها.
- اعتماد علماء العرب القدامى على مفاهيم المنطق في تأصيل وعرض العلوم اللغوية بصفة عامة وعلم الصرف والنحو بصفة خاصة.

مراجع

1. ابن جني أبو الفتح عثمان، 1954، المصنف تحقيق إبراهيم مصطفى وهب الله أمين، ج(1)، القاهرة، مصر.
2. ابن جني أبو الفتح عثمان، 1955. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج(2)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
3. ابن حزم أبو محمد علي، 1987. مراتب العلوم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة.
4. ابن رشد محمد، 2002. الضروري في صناعة النحو، تحقيق منصور علي عبد السميع، ط1، دار الفكر العربي، مصر.
5. ابن عصفور الإشبيلي، 1987. الممتع في التصريف، المحقق :فخر الدين قباوه، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
6. قباوة فخر الدين، 1971. ابن عصفور والتصريف، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
7. مطلق ألبير حبيب، 1967. الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية صيدا- بيروت.